# لا سلام ولا كلام

للأستاذ محمود شلبي

الذين يلتمسون السلام من كل ناحية ، إلا من ناحية واحدة . . . هى طاعة الله . . . أولئك الذين بعدوا عن الحق ، وكان لهم السلام حلماً بعيداً .

لأن إرادة الله اقتضت إعلان الحرب على الذين يعصون الله . . .

ماذا أريد أن أقول ؟

أريد أن أقول إن الله قرر نواميس فى الحياة لا تتبدل ولا تتغير .

فمن نواميس الله الدائمة أن الأمن للناس إذا أطاعوا الله ، والخوف للناس إذا عصوا الله .

السلام للطائعين . . . والحرب على العاصين فهل البشرية طائعة لله ؟

أيا ما كانت الألوان والأجناس واللغات والأديان . . . هل البشرية طائعة لله .

كلا . . . البشر كلهم عصاة لله . . . وإن شئت فها هى الأرض أمامك . . . أرنى فيها وجه الطائعين لأقبلهم !

سيقولون هناك المسلمون . . . وأقول لهم أو إن شئتم قولوا المستسلمون . . . ثم ائتونى كم من المسلمين يعبد الله كما يحب الله ويرضى ؟

سيقولون كثير . . . قلت مهما كان عددهم فهم قليل القليل بالقياس إلى أهل الأرض أجمعين .

وصلنا إذا إلى نتيجة حتمية . . إن أكثر أهل الأرض لا يؤمنون ، وإن آمنوا لا يخلصون وإن أخلصوا لا يثبتون .

فما كان جواب القدر ؟

كان جوابه أن العقاب آت لا ريب فيه . . جزاء وفاقا ، لما عليه الناس من تحول عن الله .

وهذا العقاب يأخذ أساليب شتى فالآفات الزراعية ، تأكل الأخضر والأصفر عقاب .

ودفع الناس بعضهم ببعض عقاب وإصابة الأبدان بالأمراض عقاب والغلاء العام عقاب .

والقلق والخوف الدائم عقاب .

والرهبة من المستقبل المحفوف بالمخاطر عقاب

كل هذا عقاب . . . وغير هذا مما لا يعلمه إلا الله عقاب .

وهو سبحانه يصب منه كيفما شاء على من شاء « عذابى أصيب به من أشاء » .

وعذاب الله يكون فى الدنيا قبل أن يكون فى الآخرة .

ودع عنك عذاب الآخرة جانباً الآن ، فإن أكثر الناس لا يؤمنون به ، وهم منه فى شك مريب .

وإنما نحن بسبيل العذاب الدنيوى ، ذلك العذاب الأدنى الذى يعانيه الخلق ويذوقون منه كل يوم كثيراً .

إن العالم كله الآن ، شرقيه وغربيه ، يعيش فى قلق وخوف دائمين ، كل يتربص بالآخر ، ولا يدرى متى يبغت بعضهم بعضاً .

ثلثى ميزانيات الشرق والغرب تنفق فى التسلح . . لماذا ؟

لأن الناس يخشى بعضهم بعضا .

فمن الذى صب عليهم ذلك الخوف ؟

الله هو الذى أصابهم بهذا العذاب ، جزاء ما هم فيه من كفر وعصيان .

إن الغرب والشرق الغارق فى الكفر والعبث ، ليس له أن ينتظر سلاماً ، وإنما الحرب دائماً ، لأنهم يحاربون الله ، فحق عليهم الحرب من الله .

فإن قيل ولكن الناس أنفسهم يحاربون ؟ فما دخل الله فى الأمر ؟

قلنا يا محاتين . . وإن من شىء إلا هو آخذ بناصيته . . . وهل يستطيع أحد أن يفلت من إرادة الله فيه ؟

تلك هى المشكلة من أعمق أعماقها . . . بشرية كافرة عاصية . . . استحقت عذاباً على سلوكها . . . فهذه الحرب التى يستعد لها الطرفان ، هى النتيجة الطبيعية لسلوك الإنسان .

ومثل الناس فى هذا ، كمثل الخارج على القانون ، حين يساق إلى السجن جزاء جريمته

كذلك الناس يساقون إلى مذابح الحروب ، جزاء خروجهم على القانون الطبيعى قانون السماء .

فعلى الذين يحلمون بالسلام أن يوقنوا أنه « لا سلام ولا كلام ، وإنما هى الحرب تلو الحرب ، لأنهم يزدادون آثاماً يوماً بعد يوم .

لأن الحرب هى ثمرة الجريمة العامة التى اصطلحت عليها البشرية ، جريمة الإعراض عن الله والكفر بالله .

إنهم يقولون كل شىء ، ويتصورون السلام فى كل شىء . . . إلا أن يكون عن طريق الإيمان بالله والإستقامة على أمر الله .

ولكن السلام لن يكون فى الأرض إلا من هذا الطريق . . . وهذه هى العقدة

نعم . . . هذه هى العقدة ، لأن الناس أنفسهم لا يتصورون أن السلام فى الأرض له علاقة بطاعة الله أو معصيته ! !

والحقيقة السافرة أن البشرية كلما تقدمت وتحضرت ، كلما ازدادت حروبها وازدادت شرورها .

وإن هى عاشت فى السلام حيناً ، فانما هى هدنة مسلحة ، أو فترة ما بين حربين وليست سلاما حقيقياً ، ولا رغبة فى السلام .

فالأصل الأصيل ، والسر الدفين فى وجود الحرب ، هو معصية الناس لله . . . تلك التى تستوجب أن يعذبهم الله بعضهم ببعض .

فإن تصور الناس امتناع الشر منهم ، أمكن أن يتصور امتناع الحرب بينهم .

فاذا كان الشر بين أصول تكوين الإنسان ، وجب الإعتقاد أن الحرب من أصول تكوين الإنسانية .

وهذا ماشهد به التاريخ فيما مضى ، وسيشهد به التاريخ فيما هو آت .

ولئن كانت هذه صدمة أليمة الذين يحبون السلام ، ويتمنون السلام . . . إلا أنها هى الحقيقة ، رغم مرارتها ، ورغم آلامها .

وآية ذلك أن زعماء العالم الغربى والشرقى ، يتنادون بالسلام ، ومن ورائهم مالا يحصى من أدوات الدمار والخراب .

ويتنادون بنزع السلاح ، وكل منهم يعد السلاح ؟

ويبدون رغبتهم فى التفاوض ، وهم يخفون رغبتهم فى إبادة بعضهم البعض .

فإن شاءت البشرية سلاما دائماً فلتنظر موقفها من الله .

فإن كان ازورارا عنه سبحانه ، وإعراضا عن طريقه ، فلتسعن على أمره ، ثم تنتظر بعد ذلك السلام والوئام .

أما أن تكون قلوب الناس قلوب الذئاب ، ثم يلبسون مسوح الضأن ، ويتمنون السلام ، فذلك مالن يكون ، لأنه مضاد لسنة الله ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

الإيمان بالله أولا ، وطاعة الله ثانيا والسلام على الأرض ثالثا .

وطالما أن هناك حقا وأن هناك باطلا ، وأن هناك شراً ، وأن هناك خيراً ، فالحرب باقية ، لأنها السبيل الوحيد ليدفع المظلوم بها عن نفسه ظلم الظالمين .

وهذا ما تدركه الأمم بغريزتها التى فطرها الله عليها ، غريزة الدفاع عن النفس .

والسلام الدائم يتصور ، لو تصورنا امتناع الشر من النفوس .

وفى رأيى أن أساليب الدمار والإفناء التى وصلت إليها الكتلتان المتصارعتان على الأرض ، هو تمدد طبيعى يمضى وجها لوجه مع تمدد الإنسانية فى معصية الله ربها .

لقد بلغ الإنسان حداً عجيباً من الكفر بالله ، حتى أصبح هناك عالم بأكمله ، نحوا من نصف البشرية ، هو العالم الشيوعى ، لا يؤمن بالله ، ولا بمجرد فكرة الله .

وهناك العالم الغربى الراقص العابث الذى أعطى دينه ظهره ، وأقبل على دنياه يغترفها اغتراف الوحش الجائع لدماء فريسته .

فهل هؤلاء هم الذين يقررون السلام ؟ كلا . . . ثم كلا . . .

إنهم يخادعون الله ، وهو خادعهم وسوف يعلمون يوم تشتعل الحرب القادمة ويتناثر الدمار والخراب الهيدروجينى فى الأرض . . . يومها يعلمون أن الله يصفى حسابه مع العصاة . . . وأنه إذا أخذهم لم يفلتهم .

إن السماء تقول : لا سلام ولا كلام . والناس يقولون : نريد السلام ، نريد السلام . والحقيقة تقول آمنوا بالله ربكم ، يأتكم السلام والوئام ، ويصبح حديث الناس : اللهم أنت السلام ومنك السلام ، تباركت ياذا الجلال والإكرام ؟